

## The image of the mother camel in Umayyad poetry

Haneen Esa Motawaj\* 

Dr. Adnan Ahmad\*\*

Dr. Rabahali\*\*\*

(Received 18 / 6 / 2025. Accepted 1 / 12 / 2025)

### □ ABSTRACT □

This research examines the image of the mother camel in Umayyad poetry. The subject of motherhood was of great importance in this era. Umayyad poets addressed the subject of the camel's motherhood in a profound and moving manner. They depicted the feelings of tenderness and care that a mother camel offers to her young, in a way that reveals deep love and compassion. The Umayyad poet resorted to images of the camel's motherhood because of its great status in his heart. The camel conveys the poet's suffering and emotions due to its connection to him and its importance in his life. It is his means of transportation in the deadly desert. Based on this importance, the Umayyad poet burdens. It became the conscious and subconscious equivalent of what was disturbing within his soul.

The manifestations of camel's motherhood were prominent in Umayyad poetry, due to the many connotations it carries, including fertility, sex, love, affection, tenderness, and beauty. It greatly occupied the Umayyad poet and made him focus on the status and value of the mother in his soul.

The research uses the descriptive approach, which requires collecting, analyzing, and processing scientific material to arrive at conclusions extracted from the text studied.

**Keywords:** motherhood, camel, affection, tenderness, nostalgia.



**Copyright** :Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

---

\* postgraduate student (PhD) - Department of Arabic language – Faculty of Arts and Humanities – latakia University (formerly tishreen), Syria . haneen.motawaj88@tishreen.edu.sy

\*\* Professor - Department of Arabic language - Faculty of Arts and Humanities - latakia University (formerly tishreen), Syria .

\*\*\* Assistant Professor - Department of Arabic language - Faculty of Arts and Humanities - latakia University (formerly tishreen), Syria .

## صورة الناقّة الأمّ في الشعر الأمويّ

حنين عيسى متوج\* □

د. عدنان أحمد\*\*

د. رباح علي\*\*\*

(تاريخ الإيداع 2025 / 6 / 18. قُبِلَ للنشر في 1 / 12 / 2025)

### □ ملخّص □

ينصرف هذا البحث إلى دراسة صورة الناقّة الأمّ في الشعر الأمويّ، فقد حظي موضوع الأمومة بأهميّة بالغة في هذا العصر، فقد وجدنا أن الشاعر الأموي قد لجأ إلى صور أمومة الناقّة، لينقل بها معاناته وعواطفه، لارتباطها به، وأهميتها في حياته، فهي وسيلة انتقاله في الصحراء المهلكة. وانطلاقاً من هذه الأهمية، فقد حملها الشاعر الأمويّ كثيراً من أعبائه النفسيّة والدّاخلية، وغدت المعادل الشعوري واللاشعوري لما يضطرب في نفسه وذاته. وبرزت تمثيلات أمومة الناقّة في الشعر الأمويّ؛ لما تحمله من دلالات عديدة منها الخصب، والجنس، والحب، والعطف، والحنان والجمال، وشغلت الشاعر الأمويّ، وجعلته يركّز على مكانة الأمّ، وقيمتها في نفسه. يتوسّل البحث بالمنهج الوصفيّ الذي يقتضي تقرّي المادّة العلميّة، وجمعها، وتحليلها، ومعالجتها، للوصول إلى نتائج مستخلصة من النصوص المدروسة. وبني البحث على مقدمة، تبعتها بيان أهميته، وأهدافه، وعرضت المناقشة صور الأمومة المعذبة، وصور العطف والحنان، وصور الشكوى والحنين عند الناقّة الأمّ. واختتم البحث بأهم النتائج فيه، ثم بفهرس المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الأمومة، الناقّة، العطف، الحنان، الحنين.



حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً) - سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب

الترخيص CC BY-NC-SA 04

\*طالبة دراسات عليا (دكتوراه) - قسم اللغة العربية-كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً) - سوريا.

haneen.motawaj88@tishreen.edu.sy

\*\*أستاذ. قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)، سوريا.

\*\*\* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)، سوريا.

**مقدمة:**

تصوير الناقة الأم من الظواهر الشائعة عند الشعراء الأمويين، بوصفها رمزاً للطاء، والرعاية، والشجاعة، والقوة؛ إذ "إنها رمز الأمومة الخصبة التي تصدر عنها الحياة في أفراحها وأحزانها ومخاوفها وقلقها وأحلامها"<sup>[1]</sup>. ومثلت الناقة الأم قيم المحبة، والحماية، والتضحية، والصبر، التي يجب أن تتحلّى بها الأم تجاه أولادها. وكان تصويرها يبرز الحظوة والكرامة التي تتحلّى بها الأم في عيون الشعراء الأمويين، وتقديرهم قيمتها العظيمة التي امتدّت على مرّ العصور.

وقد رأى الشاعر في عالم الحيوان التناقضات الموجودة في عالم الإنسان؛ إذ وجد فيه الرّحمة والقسوة، والقوّة والضعف، و لعلّه وجد في عالم الحيوان حلولاً وإجابات لمشكلات كانت تؤرقه.

**أهمية البحث وأهدافه****أهمية البحث:**

تتبع أهمية البحث من كونه موضوعاً شعورياً حياً، وهو موضوع دائم بدوام البشرية، يبرز تميّز الشعراء في إسقاط حالتهم النفسية على مشاهد أمومة الناقة التي وصفوها في شعرهم. وتأتي أهمية البحث كذلك من قلة الدراسات الأدبية التي تناولت هذا الموضوع في الشعر الجاهلي، ومن عدم وجود دراسة مماثلة في الشعر الأموي.

**أهداف البحث:**

تهدف هذه الدراسة إلى تتبّع صور أمومة الناقة في العصر الأموي، ثمّ دراستها دراسة فنيّة منهجية، بهدف استجلاء سماتها، واستنباط إحياءاتها ومكنوناتها، والكشف عن عمق إحساس الشاعر بالكائنات من حوله، ورصد حالات الأمومة من حزن وعجز وضعف عند الناقة الأم التي استدعاها الشاعر الأموي في قصائده ليبثّ حزنه ومعاناته.

**الدراسات السابقة:**

لم نقف على دراسات مستقلة عنيت بصور أمومة الناقة في الشعر الأموي، إنما أفدنا من دراسات برزت فيها تمثيلات الأمومة عامة، من أهمها :

**صورة أمومة الحيوان في الشعر الجاهلي، لجواهر محمد فايز الشهري.<sup>[2]</sup>**

عرضت فيه الباحثة مفهوم الأمومة ومكانتها في الوجدان العربي القديم، وتناولت معاني الأمومة المحضّة ووضحت الأسباب التي جعلت بعض الشعراء ينفون الأمومة عن الناقة خاصة وبعض الحيوانات عامة. كما تتبعت الصور البلاغية بما يخص الأمومة عند الحيوان، وبيّنت المعاني الكبرى لصورة الأمومة، وعلاقة هذه الصور بمقاصد الشاعر في النص.

كما أفدنا من دراسة أخرى موسومة ب (الأمومة في الشعر الجاهلي)، لملكي عيد<sup>[3]</sup>.

<sup>[1]</sup> الرحلة في القصيدة الجاهلية، وهب رومية، دمشق، ط2، 1979، ص173.

<sup>[2]</sup> صورة أمومة الحيوان في الشعر الجاهلي، جواهر محمد فايز الشهري. (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، السعودية. 2014م.

<sup>[3]</sup> الأمومة في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، ملكي عيد، إشراف د. عبد الكريم يعقوب، جامعة تشرين.

## المناقشة:

استطاع الشعراء الأمويون\_ بفضل اتصالهم الوثيق بالحيوان\_ أن يرسموا مشاهد دقيقة وصوراً معبرة عن الأمومة؛ فقد خالطوا هذه الحيوانات\_ وبخاصة الناقة\_ وشاركهم لحظات الرحيل، والخييات، والانكسارات، والمغامرات، فكانت نعم الأنيس، والصديق المخلص الوفي؛ فهي التي تسليهم، وتخلصهم من الهموم، وتتجيبهم من أخطار المفاز ومهالكها، إنها بمنزلة الأمّ الرّوم التي يحتاجون عطفها وحنانها ووجودها بجانبهم، لذا كان الشعراء يتحيتون الفرصة السانحة لذكر مشاهد الأمومة التي تخفف عنهم وطأة الرحلة، وتعب الحياة.

## 1\_ صور الأمومة المعذبة (الحزينة):

ظهرت مكانة الناقة في وجدان الشاعر الأموي، وذلك من خلال تفصيله القول في صفاتها وأحوالها، للتعبير عن إحساسها بالألم والحزن، والشوق والحنين، والتعب وغير ذلك من المشاعر النفسية. ووجد الشاعر الأموي في الحديث عن الناقة متعة ولذة فنية؛ لكونها جزءاً أصيلاً من تجربته الشعرية ووسيلته لتفريغ همومه، وجعلها-في أغلب الأحيان- صلبة قوية ضخمة مليئة بالخصب والعتاء، وذلك انطلاقاً من نظرتة إليها بوصفها أمّاً، فهي الملجأ الآمن، والملاذ الذي يهرع إليه هرباً من المتناقضات والمعاناة. "وقد خصّ الشعراء نوقهم برحلاتهم عبر الفلاة لأنها أكثر تحملاً في الهاجرة"<sup>[4]</sup>، كما أنها رفيقة مطواعة لا تخذل صاحبها، على الرغم مما قد يصيبها من تعب، وإجهاض، وإرهاق. ومن النصوص الشعرية التي تصوّر فاجعة الناقة الأمّ، قول الشاعر (الصمة القشيري)<sup>[5]</sup> في معرض حديثه عن أمه لفراق حبيبته (طياً) وشوقه للقائها<sup>[6]</sup>، [من الطويل]:

وَلَا وَجُدُ بِكِرِ حُرَّةٍ أَرْحَبِيَّةٍ	تَرُودُ حَوَالِي طِفْلِهَا قَدْ أَنْتَمَتِ <sup>[7]</sup>
أُنِيحَ لَهَا فِيمَا تَرُوحُ وَتَعْنَدِي	خُشَارُمُ مِنْهُ رُعْبُهَا فَاشْمَعَلَّتِ <sup>[8]</sup>
وَجَاعَتْ مُفَجَّاءَ تَرَى قَرْنِ طِفْلِهَا	بِسِرْحَانَةٍ أَظْفَارُهَا قَدْ تَدَمَّتِ <sup>[9]</sup>
تَهْرُ مِنْ الْوَجْدِ الْخَصِيْلِ وَرَاعَهَا	صُوَيْبُ خَفِي خَلْفَهَا فَاقْشَعَرَّتِ <sup>[10]</sup>
فَمَا وَجَدْتُ مِنْ طِفْلِهَا غَيْرَ شِلْوِهِ	شَمَاطِيطٍ لَمْ تَقْنَعْ بِهَا حَيْثُ شَمَّتِ <sup>[11]</sup>

<sup>[4]</sup>الحيوان في الشعر الجاهلي، حسين جمعة ، ط1، دار دانية، دمشق، 1989، ص 25.

<sup>[5]</sup> هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية، توفي ما بين 90\_100 هـ.

<sup>[6]</sup> الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره\_ تحقيق خالد عبد الرؤوف الجبر، دار المناهج، عمان، الأردن، 2003م ، ص 69\_70.

<sup>[7]</sup> ترود: تروح وتعتدي غير آمنة. فهي تظل تبحث عنه. أتمت الناقة: دنا نتاجها.

<sup>[8]</sup> الخشارم: الأصوات. اشمعلت: ارتاعت فأجفلت مسرعة. وفي هذه الأبيات صورة لناقاة أتمت حملها ودنا نتاجها، ترعى وظفلها فراعها صوت ضبع أجفلت منه، ثم عادت تبحث عن طفلها فوجدت أشلاءه متناثرة.

<sup>[9]</sup> مفاجأة: عظيمة البطن بسبب تمام حملها، أي ثقيلة الحركة. الفرث: حشو المعدة. السرحانة: أنثى السرحان، الذئبة.

<sup>[10]</sup> الخصيل: الذنب غزير الشعر.

فَطَلَّتْ تِرَاعِي شِلْوَهَا مُسْتَحِجَّةً إِذَا سَلَيْتَ رَجَعَ الحَيْنِ اسْتَهَلَّتْ<sup>[12]</sup>  
بِأكْبَرٍ مِنْ وَجْدٍ بَطِيًّا وَجِدُّهُ غَدَاةً اِرْتَحَلْنَا غَدْوَةً وَأَطْمَأْنَنْتِ

تبيّن لنا هذه الأبيات الوصف الدقيق لمشاعر الأمومة لدى الناقّة، فهي تفيض بحنانها وعطفها وخوفها على صغيرها الذي تصاحبه، وترعى معه، ويظهر لنا قلقها وخوفها، من خلال لفظة (ترود)، فهي تروح وتجيء غير آمنة، فالقلق من الصفات المرافقة للأمومة؛ إذ تظهر دائماً متوجّسة خائفة، تعاني الكثير من أجل صغير عاجز عن مواجهة صعاب الحياة.

وشكّلت البنية الصوتيّة للأفعال (ترود، تروح، تغندي) صورة تتصل بالبنية الدلالية لصور النص التي تدور حول معاني الرأفة، والرعاية، وخوف الناقّة على صغارها؛ وهذه الأفعال الحركيّة بصيغتها المضارعة تشير إلى الحركة الدائبة المستمرة الفلقة لهذه الناقّة، نتيجة ربيتها، وتوجّسها، وخوفها على ابنها، ولاسيما أنّه ولدها البكر (بكر)، فالناقّة الأم تتّصف بالحيطة والحذر، والقلق والترقب. والصورة توحى بمشاعر الوحشة، والخوف، والعزلة، والانطواء، والقلق التي تملأ وجدان الشاعر.

ولتعزيز صفتي الأمومة والخصب، ذكر الشاعر أنّها على وشك الولادة، فقد أتمت مدة حملها، وهذا يضاعف شعور القلق والتوجّس عندها؛ على صغيرها الذي يرضع معها من ناحية، وعلى جنينها الذي اقترب موعد مجيئه من ناحية أخرى. وما زاد من هلع هذه الأمّ سماع أصوات غريبة، زرعت في قلبها الرعب والروع، فأجفلتها، وقد أدت الصورة الصوتيّة دوراً في إشاعة حال من الاضطراب والتوتر والخوف.

ولا يُغفل الشاعر الصفات الخارجيّة الشكليّة لهذه الناقّة الأمّ عند إياها؛ فهي عظيمة البطن (مفجأة) بسبب تمام حملها، ولعلّ الإيقاع الصوتي لهذه اللفظة يسهم في رسم صورة الناقّة، فيدلّ على ضعفها الجسدي، وبطء حركتها وتثاقلها، وقد خانتها سرعتها وقوتها بسبب ذلك الحمل؛ إذ عادت إلى صغيرها بعد فوات الأوان لترى أشلاءه مبعثرة، قد التهمت أنثى الدّئب (السرحانة)، بدليل الدّم الذي يغطّي أظفارها. وفي قتل صغير الناقّة محاولة لقتل كلّ أمل بولادة حياة جديدة، واغتيال لمعاني البراءة والسلام، لكنّ الشاعر يحاول الانتصار، من خلال كون الناقّة قد شارفت على وضع مولود جديد، في تحدّ لقوى الشرّ والإفناء المتمثلة بالسرحانة.

وقد تداخلت العناصر اللّونية في رسم صورة الفقيد الصّغير؛ إذ بدت أشلاءه مدمّاة. ونلاحظ كلمة (تدمّت) التي تحيل على لون الدّم، وغير خفي أنّ اللون الأحمر من الألوان التي تبعث الخوف في النّفس. وقد استخدم الشاعر هذا اللون نتيجة وعيه المعرفي لدوره في استنفار المشاعر، والتأثير في النّفس، فكان الدّم العالق على أظفار السرحانة دليلاً صارخاً على فعلها الآثم من جهة، وعلى الفاجعة المؤكّدة التي حاقت بالناقّة الأمّ، من جهة أخرى.

ونلاحظ تركيز الشاعر على ردود أفعال هذه الناقّة، فهي تحرك ذنبها بطريقة لا إراديّة تعبيراً عن خوفها وهلعها ورعبها من المجهول، ووصف الشاعر الصّوت فقال (صويت خفيّ) وفي تصغيره إشارة إلى كونه صوتاً خافتاً بعيداً غير واضح، ووصفه بالخفيّ يوحي بغموض هوية صاحبه، أو أنّه صوت تتوهّمه داخلها فيبعث قشعريرة في جسدها ونفسها (فافتشعرت)، فهي غير مدركة ما حلّ بصغيرها، أو لا تريد أن تدرك الحقيقة الواضحة، حتّى لتكاد تكذب نظرها، فهي

<sup>[11]</sup> الشلو: كل مسلوخة أكل منها شيء فيقيتها شلو. الشامطيظ: القطع المتناثرة.

<sup>[12]</sup> ظلت تراعي شلوها: ظلت قائمة عليه تشمه وتلاحظه بين حنين وبكاء.

تجد أشلاء ولدها المتناثرة (شماطيط)، ولكنها لا تعي فقدانه ولا تقتنع، فتقترب منه، وتشم رائحته، والحزن يجتاح قلبها المكسور، لا تبرح مكانها وهو ما تشي به لفظة (ظَلَّت) التي توحي بطول مدة البقاء؛ فهي قائمة على ما تبقى من أشلائه، تحن وترجع البكاء بعد هذه الفاجعة المؤلمة الصادمة، وبذلك تتوضح لدينا صورة الفقد "حزن الأم لا يدانيه حزن، وضعفها لا يدانيه ضعف، بل إن ألم الحيوان وإحساسه بقسوة الموت لهو أعنف من ألم الإنسان"<sup>[13]</sup>.  
 نلاحظ أن الصورة مدوّرة في هذه الأبيات؛ فأولها يكتمل بأخرها، فوجد هذه الناقّة الأمّ التّكلى يبدو ضئيلاً أمام وجدده وشوقه إلى (طيّا)، بعد ارتحالها وغيابها. فالصورة قائمة على المبالغة في تصوير عمق حبه، وافنقاده وجود (طيّا) وحضورها، وتجسد اهتمام الشاعر الأموي بتصوير آلام الحيوان الذي يرافقه في حلّه وترحاله، فهو يشعر به، ويحس بإحساسه، ويبين ما يتعرض إليه ويواجهه من ظروف قاسية.

ويطالعنا نص آخر للشاعر (الفرزدق)<sup>14</sup> يحرص فيه على إظهار صفات القوة والضخامة للناقّة، ويجسد فيه معاني الخصب والعتاء، فتظهر فيه الناقّة أنموذجاً للأمّ التي يلجأ إليها الشاعر لتلبية حاجاته، والهروب من الهم والحزن والقلق المترصّ به. قال الفرزدق يمدح (قطن بن مدركة الكلابي):<sup>[15]</sup> [من الطويل]

أقول لمنحوضٍ أعالي عظامها بجزّ أظلاها السريح المنعلا<sup>[16]</sup>

شريكه حوص في النجاء قد التقت عراها وأجهضن الجنين المسربلا<sup>[17]</sup>

تسنّى من الأخلاق ما كان دونه وفك من الأرحام ما كان مقللا<sup>[18]</sup>

هواجر يحلُّ بن الحميم، وماكد من السير لم تطعم مندى ومنزلا<sup>[19]</sup>

يبدأ الشاعر أبياته بالفعل (أقول) ويهيئاً للقارئ للوهلة الأولى أنه يخاطب صاحبه، ولكن سرعان ما يدرك أنه يحاور ناقته وشريكته في تجاوز الصعاب والماضي، بكل ما فيه من أسى وكلوم وأحزان، فهذه الناقّة قد ذاب شحمها من شدة التعب، وطول المسير (منحوض) حتى تدمى خفافها، فالناقّة (المنحوض) أمّ، وهي شريكة نوق (حوص) أجهضن

<sup>[13]</sup> الإبل في الشعر الجاهلي، دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث، أنور عليان أبو سويلم، الجزء 1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م، ص 89.

<sup>14</sup> وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، ولد بالبصرة سنة 20 هـ، وكان شديد التشيع لآل البيت، وتوفي سنة 114 هـ.

<sup>[15]</sup> ديوان الفرزدق، شرحه علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 477\_478.

<sup>[16]</sup> المنحوض : الناقّة الضامرة التي أذاب شحمها السير الشديد. الأظلان: الواحد أظل: باطن الخف. السريح: الدم السائل. المنعل: ما يرتدى كالنعال.

<sup>[17]</sup> حوص: الغائرات العيون من التعب. النجاء: شدة العدو. التقت عراها: أي إن حبال الأنساع التقت عليها لضمورها وذهاب شحمها. المسربل: الجنين خرج من بطن أمه وعليه سلاه، وهو الغشاء الذي يحتضنه.

<sup>[18]</sup> تسنّى: انفتح وفض. الأخلاق: الأرحام.

<sup>[19]</sup> الهواجر: الواحدة هاجرة: الحر الشديد في منتصف النهار. يحلين: يفرزن. الحميم: العرق الساخن يميل لونه إلى السواد. الماكد: الناقّة التي جف ضرعها ونقص لبنها. المندى : من ندى الإبل : وهو أن يوردها لتشرب قليلاً ثم تعد إلى الماء من جديد. المنزل: الأصل المنهل وهنا الأرض الكثيرة الزرع.

أجتنهن من شدّة التّعّب، وطول الطّريق؛ فالمعاناة جماعيّة، وهذا يكثّف دلالات الألم والشدّة، وفيه تعبير عن بذل هذه الناقّة الأمّ ما هو فوق استطاعتها وتحملها، فقد سالت منها الدّماء (السّريح)، ولّون قوّة موحية، تؤثّر في النفس؛ إذ إنّ ظهوره بارز من الناحية الجماليّة، فهو يضيف على البيت معنى عميقاً، ولون الدّم الأحمر انعكاس للانفعالات التي تختلج دخيلة الشّاعر، فتوقظ الأحاسيس، وتنمي الشّعور، كما يندر اللّون الأحمر بدلالات الخطر، فيكون اللّون هنا مثيراً لعاطفة الشّفقة حيال هذه النّوق الأمّات.

إنّها مثال الأمّ الصّبور المخلصة، وفي لفظة (شريكة) كلّ معاني الالتصاق، والانسجام، والتّشارك الشّعوري، والاندماج الوجدانيّ، إذ تحمل هذه اللفظة كلّ معاني الإعجاب والدّهشة والحبّ. فالناقّة ليست شريكة الشّاعر في رحلاته ومغامراته وحسب، وإنّما شريكته في المتاعب والمعاناة والآلام، والشراكة هنا أيضاً بين الناقّة (المنحوض) والنّوق (الخصّ)، فهي الأمّ المضحية التي غارت عيونها من التّعّب وشدّة السّرعَة في السّير، "أليست الناقّة شريكة العربيّ في مسرّاته وأحزانه، ومعوّنه على بلوغ مأربه، وإمضاء همومه. وبذا قويت الرّابطة بينهما، حتى ليكاد يناجيهما بخلاجات نفسه، وتناجيه"<sup>[20]</sup>. وبذلك نجد الشّاعر قد شخّص الناقّة، وخلع عليها مشاعر إنسانيّة، ما دلّ على ذوقه الرّفيع وإحساسه البديع.

واستخدم الشّاعر الكناية (التقت عراها) لتأكيد توصيف تعب الناقّة وجهدها، فهذه كناية عن هزال الناقّة، وذهاب شحمها، نتيجة السّفَر الشاقّ المضني الذي أدّى إلى إجهاضها. وما ذكر الشّاعر للأرحام والأحلاق إلا تعبير صارخ عن أمومة هذه الناقّة، وفي الوقت نفسه دليل على جبروتها وقوتها، لقدرتها على تجاوز المحن. وكلمة (مقفلا) هنا ثرة الدلالات؛ فالرّحم المقفل كان يحمي الجنين، وفكّه يعني غياب هذه الحماية، ومن ثمّ موته، فهذه اللفظة تشير إلى عناء هذه الناقّة، وصبرها، وتحملها الذي فضّ ما كان شديداً ومحكم الإغلاق، فالشّاعر يعلّق آماله على ناقته، لتجاوز هذا الرّمن إلى مستقبل أفضل.

إنّها ناقّة تجمع المتناقضات، والمشاعر المختلفة التي تعبّر عن نفسيّة الشّاعر، وتعكس شعوره الدّاخلي، فهو يجابه الواقع، ويواجهه بقوة، على الرّغم من كلّ الأخطار والمشقات التي تعترضه، حاله حال هذه الناقّة الولود التي جفّ ضرعها، وخفّ لبنها من شدّة الحرّ الذي ربّما يعبّر عن غضب وانفعال في نفس الشّاعر، والسّير الدائم اللانهائي الذي يعبّر عن طموحات الشّاعر وأحلامه وآماله، فهذه الناقّة تفرز عرقاً أسود (حميم)، وهنا يعود الشّاعر إلى توظيف اللّون ليعكس لنا ما بداخله، فالسّواد يدلّ على التّشاؤم والإحباط والانكسار، ويتخلّص هذه الناقّة من هذه الأدران، يحاول الشّاعر بطريقتين لا شعوريةً أن يتخلّص من آلامه وخيباته، ويتّجه نحو أهدافه وأحلامه بعزيمة وإصرار.

وشريكته (الأمّ) هذه لم تنق الماء ولا الغذاء اللازم لها منذ مدّة، مما يضاعف عذابها، وحاجتها إلى ما يعزّز قدرتها على المضيّ، إنّها الأمّ المحرومة المعذبة التي تكافح من أجل الشّاعر، فهي بمنزلة أمّ له، تضحيّ من أجل تحقيق أهدافه، ولو كان ذلك على حساب راحتها، وكأنّ الشّاعر يريد أن ينقل إلينا شعوره بحاجته إليها، فهي المنجاة الوحيدة في تلك المفازة.

تحمل هذه الصّور الشعريّة دلالات رمزيّة تمثّل رغبة الشّاعر الأمويّ في تجاوز الموت والجفاف، إلى عالم الخصب والنّماء. والناقّة وسيلة الشّاعر لبلوغ المستقبل، وتخطّي رداءة الحاضر، من خلالها يصل إلى الغد المأمول، وذلك عندما لا يستطيع ردّ الماضي الجميل؛ لأنّ الناقّة هي الأمّ القادرة على تجاوز الرّمن، تجمع في بنيانها جميع المتناقضات، وتجمع صفات القوّة والضعف، لأنّها أمّ.

<sup>[20]</sup> الشعر العربي بين الجمود والتطور، محمد عبد العزيز الكفراوي، دار القلم، بيروت- لبنان، 2، ص 41.

## 2\_ صور العطف والحنان عند الناقّة الأم:

ارتبط الشعر الأموي بالحياة ارتباطاً وثيقاً، وبالتدقيق في مضامينه، نلاحظ مكانة الأمّ في ذلك العصر من خلال موضوعات الشعر المختلفة. وقد أبدع الشاعر الأمويّ في تصوير حنان الناقّة على صغارها، محاولاً إبراز مشاعر الأمومة، والحنان إحساس رفيع ومشاعر صادقة نبيلة مرهفة، تؤدّي إلى سلوكيات منها: العطف والعطاء، والبذل والتضحية، والعناية والرعاية، وكلّ ما من شأنه تحقيق السعادة والسلامة لمن هو موضع الحنان ومقصده<sup>[21]</sup>. ونوافق رأي الدكتور وهب روميّة حين قال: "إنّ هذه القصص قصص رمزيّة، لم يقصد الشاعر بها إلى وصف حياة الحيوان وحدها، أو إلى تصوير سرعة ناقته، بل يقصد أولاً وقبل كلّ أمر إلى الحديث عن رحلة الحياة نفسها التي لا تتوقف حتّى تنتهي بها المغالبة والكفاح إلى ميناء الموت"<sup>[22]</sup>

وقد جاءت صور الشعراء الأمويين في وصف الناقّة الأمّ نابضة بالحياة، وملبئة بالحركة والحيويّة، فقد قرّوا لها جميع العناصر اللّازمة؛ كالحركة، واللّون، والرّائحة، ورسومها بدقّة وعناية؛ إذ يبدأ الشاعر الصّورة بمنظر رئيس، ثمّ يفرّع عنه جزئيات كثيرة لا تُخلّ بالمنظر، بل تزيده روعة وجمالاً. ونلاحظ أنّ الشاعر الأموي غالباً ما ينتصر للحيوان، ممّا يعكس توقه للنصر، وإرادته القويّة في الوصول إلى مآربه.

وعكس الشعراء الأمويون معاناة الحيوان، ودخلوا إلى أعماقه ووصفوا انفعالاته. وفي ذكر معاناة الناقّة الأمّ عند الولادة، ووجع المخاض يصوّر الشاعر حالة الناقّة، وهي تضع ولدها بعد عذاب شديد وألم مضنّ، قال (عدي بن الرّقاع العاملي):<sup>[23]</sup>

سَنَةٌ حَتَّى إِذَا مَا أَحْوَلَتْ      وَضَعَتْهُ بَعْدَ عَزْفٍ وَاضْطْرَابٍ<sup>[24]</sup>  
جَدَّةٌ لَمْ يَنْحَوْنَ دَرَهَا      سَوْءُ تَصْرِيحٍ وَلَا جَهْدُ احْتِلَابٍ<sup>[25]</sup>  
فَقَلَّتُهُ دِرْزًا حَتَّى بَدَا      سَامِقًا يَغْلُو مِصَاعِيْبَ السَّقَابِ<sup>[26]</sup>  
جَدَعًا يَسْتَكْبِرُ الشُّوْلَ لَهُ      مُفْنَقًا كَالْفَحْلِ يَعْمي بِاللُّعَابِ<sup>[27]</sup>  
ثُمَّ أَتْنَى وَهُوَ شَهْمٌ مُصْعَبٌ      فَرْدٌ يُدْعَرُ مِنْ صَوْتِ الدُّبَابِ<sup>[28]</sup>

[21] صورة أمومة الحيوان في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، جواهر محمد فايز الشهري، ص 42.

[22] الرحلة في القصيدة الجاهلية، وهب روميّة، ص 241.

[23] ديوان شعر عدي بن الرّقاع العاملي، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م، ص 43\_45. وهو الشاعر عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرّقاع العاملي من عاملة، حي من قضاة.

[24] حولت وأحالت: أتى عليها الحول. بعد عزف: بعد حين عند وجع المخاض.

[25] يتخون: يتنقص. وربيعة تصرم أخلاف نوقها وهو أن ينقطع بعض أخلافها من الصرام، أو تكوى ليزداد لبنها فذلك أقوى لها، وذلك هو التصريم.

[26] قَلَّتُهُ: ربه. درة ودرر. سامقاً: طويلاً. مصعب: شديد قوي لا يذلل. سقب وسقاب: يقال لولد الناقّة حين ينتج: سليل، فإذا وقع عليه اسم التأنيث أو التذكير فالذكر سقب والأنثى حائل.

[27] جدع: هو الذي له خمس سنين. يستكبر الشول: أي هو أعرف منها وأعظم. الشول: جمع شائل، وهي التي أتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فخف لبنها. مفنقاً: صار فنيقاً. وهو الفحل المودع للفحلة. يعمي: يقذف بلغامه.

[28] أتنى: صار ثنياً في السنة السادسة. شهْم: حديد النفس مذعور. فرد: منفرد عن الإبل.

يرسم الشاعر للناقّة الأمّ صورةً يجمع فيها صفات التّضحية، والقوّة، والحركة. وتشي الأبيات بمعاني الخصب، فهذه الناقّة عند ولادتها تكمل كيانها كأنثى وأمّ، تحمل عواطف الأمومة بين جوانحها، وتنتظر تطبيقها واقعاً نحو المولود القادم، لذلك ترى أنّه لا بدّ من تهيئة كلّ ما هو جميل لهذا الحدث المفرح<sup>[29]</sup> وهنا تتبدّى براعة الشاعر من خلال الصور الحسيّة، والأسلوب المتين في تصوير حياة الأمّ ومعاناتها، والدور المنوط بها.

يبدأ الشاعر بكلمة (سنة) ليدلّ على معاناة هذه الأمّ حولاً كاملاً، تقاسي فيه آلام الحمل ومتاعبه، ثمّ يصور ولادتها، بعد طول المخاض وعذابه، وكأنّه يؤنسن هذه الناقّة، ويشاركها مشاعرها وأوجاعها، فهو يدقّق في تفاصيل معاناتها. والعزف هنا صوت مقترن بالآلام المخاض وأوجاعه، هو أنين وتأوه تتوسّل به الناقّة الخلاص والنّجاة لها ولمولودها. وهو معنى تعرّزه دلالة لفظة (اضطراب)، بما توحيه من قلق وتعب وترقّب. "وتبوح الناقّة إلى الشاعر بهذه المعاني عبر زفرة حزينة، وآهة دامعة، فيفهمها حقّ الفهم، فيردّ على خطابها المكلم، إمّا بتصبيرها أو<sup>[30]</sup> بمعاتبها، أو بوعدها بمكافأة إن كتمت حتّى تبلغه مراده<sup>[31]</sup>، ولكنّ هذا الألم والتعب والإرهاق لا يؤثر في عزيمتها، ولا يهزّها، لإمداد صغيرها بما يحتاجه من غذاء، فلم ينقص لبنها بسبب التّصريم، بل ازدادت قوّة وصلابة، وفي قوله (جهد احتلاب) تعبير واضح عن مدى إرهاق هذه الناقّة من الاحتلاب، ولكنها لا تأبه لذلك، فجلاً ما يهملها صغيرها، وكيفية رعايته، وتغذيته، وحمايته حتّى يكبر، فهي المضحية التي تفضّل صغيرها على نفسها، مقدّمة له أقصى ما يمكنها من تضحيات، حتّى وإن كان الأمر يستهلك طاقتها، ويستنزف قدراتها. إنّها الأمّ الصّابرة التي جادت بما لديها من حنان وعطف وغذاء لصغيرها. كما اعتنت به أيّما عناية، ورعته، وربّته حتّى كبر، واطمأنت لحاله، ولفظة (فلته) تشعنا بكميّة التعب عليه، ومنه، ومن أجله، لكي يتمكّن من الاستقلال عنها، واستخدم الشاعر (حتّى) الغائيّة ليشير إلى أنّ غاية هذه الناقّة هي تربية صغيرها حتّى يصبح شديداً قوياً. وفي لفظة (السّقاب) إشارة إلى أنّ هذا الصّغير ذكر، مما يعني أنّه أقوى وأكثر صلابة، ولكنّه مع ذلك بحاجة إلى حمايتها الدائمة.

ثمّ يذكر الشاعر أنّ هذا الصّغير قد بلغ خمس السّنوات من عمره، وأصبح قادراً على الاعتماد على نفسه، وتلبية احتياجاته، ومتابعة حياته مستقلاً ولو بشكل جزئيّ. عن أمّه التي طالما اهتمّت به حتّى كبر، وترعرع في ظلّ دفتها، وعطفها، وحنانها. وجاء التشبيه (كالفحل) ليدلّ على نضجه وقوته وصلابته، ويوحى بانتهاء دور الأمّ، فصغيرها ما عاد صغيراً، بل كبر أمام عينيها حتّى اطمأنت لحاله.

وأخيراً ختم الشاعر أبياته بوصف رحلة الحياة التي تتوّج بالابتعاد والاستقلالية، فهذا الفصيل انفرد عن الإبل، وما دلّ على شدّته وقوته: قول الشاعر (فرد) التي توحى بالانفراد والعزلة والاستقلالية والاعتماد على الذات، وربما أراد الشاعر إبراز ما في داخله من اغتراب نفسيّ؛ فهو كهذا الفصيل، يعاني صراعاً داخلياً بسبب شعوره بالغربة، والنفور من الجماعة، لأسباب عديدة، لذلك يلجأ إلى هذه الناقّة الأمّ التي تساعده على النهوض وتمدّه بالقوّة، حتّى يصبح حديد النّفس، قادراً على مجابهة الظروف القاسية، والانتصار عليها.

يمكننا أن نستشفّ من هذه الأبيات معاناة الشاعر خلال السّنوات الصّعبة التي مرّت عليه، وقد عبّر عنها عن طريق الناقّة التي كانت معادلاً فنياً له، فمن خلال وصف تعبها في أثناء الحمل والولادة والرعاية والحماية ما يعكس تعبها

<sup>[29]</sup> الأمومة في الشعر السوري المعاصر دراسة موضوعية وفنية، نسبية بنت فيصل الحجي، دار القلم، دمشق، ط1، 2006م، ص72.

<sup>[30]</sup> كذا في الأصل، والصواب: وإما بمعاتبها، وإما بوعدها ...

<sup>[31]</sup> سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي - دراسة في المضمون والنسيج الفني، سعد عبد الرحمن العرفي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ، ص401.

النَّفسي وإرهاقه وألمه، ولا يمكن أن يتحلَّى بالصَّبْر والقوَّة إلا عن طريق توهَّج هذه الأمِّ التي يستمدُّ منها الصَّلابة، والتَّجَلُّد لمقاومة الزَّمن.

وكان بعض الشعراء يعرضون لذكر صور أمومة الناقاة في أثناء حديثهم عن عناصر الطبيعة؛ من أنواء وأمطار وسحب وريح، ويمكننا بحسن التأمل أن نتعرف ما في دخيلة الشاعر من خلال هذه الصور الثرة الدافقة بمعاني الحب والعتاء، والحزن والثكل، كما في قول (ذي الرمة) مادحاً (الملازم بن حريث الحنفي): [من الطويل] [32]

وَنُكْبَاءُ مِهْيَافٍ كَأَنَّ حَيْنَيْهَا تَحَدَّثُ تَكَلَّى تَرَكَّبُ الْبُوَّ رَائِمٍ [33]

تحمل الصورة دلالات جمالية ورمزية تعبر عن الأمومة تعبيراً واضحاً، وترصد انفعالات الشاعر وتأثره بها. فنراه يستخدم الاستعارة المكنية من خلال لفظة (حنينها) فالحنين للناقاة، وقد نسبه إلى الريح الحارة، والحرارة تعبر عن الدفء، والحب، والحنان، والعطف، هذا ما تشي به صورة المشابهة بين صوت الريح وصوت الناقاة الأم، وتكرس صيغة المبالغة في (مهياف) الحال المتفاقمة التي وصلت إليها هذه الأم من مكابدة وشوق وألم وحنين، وهي صورة تعكس حاجة الشاعر، ورغبته الداخلية في إعادة الخصب والحياة بإضفاء مسحة من الجمال والبهاء عليه.

كأن صوت هذه الريح يشبه صوت ناقاة مفجوعة مسلوية ولدها تعطف على جلده، حتى لتكاد أن تلقي نفسها عليه، وفي لفظة (تكلى) ما يعمق شعور الفقد والمرارة لدى هذه الناقاة (المشبه به) ففيها حشد لكل معاني الأسى، والألم، والحزن، واليأس، ولكنها مع ذلك تعزي نفسها برائحة جلده، فقال (تركب) لشدة التصاقها به، وحاجتها لتذكره، والعطف عليه. نلاحظ أن الشاعر جمع في وصف الريح بين عنصري: الحرارة التي تعبر عن القوة، والحنين الذي قد يعبر عن ضعف. وعبر من خلال وصف صوت هذه الريح وحرارتها عن العقبات والمشقات التي واجهته في أثناء رحلته إلى الممدوح (الملازم بن حريث الحنفي).

### 3\_ صور الشكوى والحنين عند الناقاة الأم:

كانت الناقاة الأنيس الوحيد للشعراء في أسفارهم، فتوطدت علاقتهم بها، ونجم عنها اتصال روحي عميق، وصحبة قويّة، فكانوا يبيئون لها شكواهم وآهاتهم وأحزانهم، ويسقطون أوجاعهم عليها، علماً تستجيب لهم، وتخفّف عنهم قهرهم وشكواهم، وقد "عقد الشاعر بينه وبين ناقته علاقة وشيجة متينة، نقل بها الناقاة (الحيوان) إلى كائن حيّ ينطوي على جوانب إنسانية، فنراها تحسّ وتشعر، فلم تعد حيواناً يقتصر اتصال الشاعر بها الإطار النفعي فحسب، بل اتصل الشاعر بها اتصالاً نفسياً وشعورياً، فبثها همومه، وبثته شكواها، وكثيراً ما تطابقت نوازعهما وأحاسيسهما، وإذا لم يصرح النص بذلك، فإن شواغل الشاعر وهواجسه تبدو متجسدة في شخصيّة الناقاة، وموقفها في القصيدة" [34].

حملت الناقاة أحاسيس الشعراء العميقة، وعاشت معهم الظروف القاهرة، فأسبغوا عليها بعض الصفات الإنسانية، وعدّوها رمزاً يعبر عن الحالة الشعورية الداخليّة التي تخالجهم، وأكثر ما أبرزه الشعراء من سلوكيات الناقاة النفسية هي الشكوى والحنين، والشكوى من طول الرحلة وسأم المسيرة وشدة الفتور والإعياء، والحنين إلى الأوطان والألاف، حيث دفء

[32] ديوانه، قدم له وشرحه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1995م، ص 270

[33] نكباء: ريح تجيء بين ريحين. مهياف: حارة. حنينها: تعطفها؛ أي لها حنين كحنين الناقاة التي فقدت ولدها فصيّر لها بو وهو جلد الولد يحشى تباً فترأه أمه وتركبه حتى تلقي نفسها عليه من حبه.

[34] سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي، سعد عبد الرحمن العرفي، ص400.

القطيع، ولذّة التّجمّع<sup>[35]</sup>، ومن الشعراء من تغلغل في أعماق الناقة الأمّ، فسوّر حنينها وشكواها، مشاركاً إيّاها الألم والأسى والحزن<sup>36</sup>. وأحياناً يربط الشعراء مظاهر الطبيعة بالناقة، وذلك للتعبير عما يعتل في وجدانهم من أحاسيس، قال (كثير عزة):<sup>[37]</sup> [من الطويل]

فَذَرْنِي وَلَكِنْ شَاقِنِي مُتَعَرِّدًا      أَعْرُ الذُّرَى صَاتُ الْعَشِيَّاتِ أُوْطَفُ<sup>[38]</sup>  
فَمَا زَالَ يَسْتَشْرِي وَمَا زِلْتُ نَاصِبًا      لَهُ بَصْرِي حَتَّى غَدَا يَتَّعَجِرُفُ  
مِنَ الْبَحْرِ حَمَامٌ صُرَاحٌ عَمَامُهُ      إِذَا حَنَّ فِيهِ رَعْدُهُ يَتَكَشَّفُ<sup>[39]</sup>  
إِذَا حَنَّ فِيهِ الرَّعْدُ عَجَّ وَأَرْزَمَتْ      لَهُ عُوذٌ مِنْهَا مَطَافِيلُ عَكْفُ<sup>[40]</sup>

يصور الشاعر مشهداً طبيعياً هيج مشاعره، وهو هطول المطر من السحب المثقلة بالماء، وينوع الشاعر في الصور الحسية، فنجد الصور البصرية (أغر الذرى)، والسمعية (صات العشيات، حمام) تتعالق لتكون معاً مشهداً خلاّباً يثير الدهشة في النفس. وقد جعل هذا المنظر البديع الشاعر في حال من التأمل (مازلت ناصباً له بصري)، فهو يتنعم بمشاهدته، وتتبع التفاصيل، محاولاً أنسنة هذه الطبيعة. برزت مظاهر الأمومة من خلال الصّور والمعاني التي حشدها الشاعر؛ فقدّمت هذه الصّور المعنى بأسلوب جديد، فالصورة "طريقة خاصّة من طرق\* التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تتحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"<sup>[41]</sup>، والشاعر استطاع من خلال الصّورة التشبيهية أن يبرز عاطفة الأمومة؛ إذ تكشف دلالات الألفاظ (أرزمت، مطافيل، عكف) الحضور الطّاعي للأمومة، وتؤكد حاجة الشاعر إلى أمّ ترعاه وتحميه، وتدافع عنه، ذلك أنّ "الصّورة في القصيدة تبدو ذات علاقة بالعاطفة المنضوية في القصيدة"<sup>[42]</sup>، وظهر ذلك واضحاً من خلال تشبيه الشاعر صوت الرّعد بصوت النّوق العاطفة على صغارها؛ والصّوت من الوسائل التي وظّفها الشاعر لوصف حنان الناقة، وحرصها على صغارها، ففي هذه البيئة وجد الشاعر علاقة بين مظاهر الطبيعة (صوت الرّعد) وصوت الناقة عندما تحنّ على صغارها. والنّوق العوذ هي

<sup>[35]</sup>المرجع السابق، ص401.

<sup>[36]</sup> [ينظر: ديوان الصمة بن عبد الله القشيري حياته وشعره، خالد عبد الرؤوف الجبر، ص135. وينظر أيضاً: ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1971م، ص165.  
<sup>[37]</sup> ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م، ص481\_482. وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود من مليح من خزاعة، وهو خزاعي العم والخال، توفي سنة 105 هـ.  
<sup>[38]</sup> [أغر الذرى: لتخلل البرق فيه. صات: شديد الصوت. السحاب الأوطف: الذي فيه استرخاء لكثرة الماء فيه.  
<sup>[39]</sup> [حمام: ذو حممة؛ أي صوت. يتكشف: يملأ برقه السماء.  
<sup>[40]</sup> عج: رفع صوته. أرزمت: حنت. العوذ: جمع عانذة وهي الحديثة النتاج من الإبل. مطافيل: جمع مफल وهي ذات الطفل. عكف: عاكفة يعني على أولادها. شبه صوت الرعد بصوت نوق تحن، أو ذكر تجاوباً بينهما.  
\* وردت طرق، والصواب: طرائق.

<sup>[41]</sup> الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م، ص323.  
<sup>[42]</sup> الشعر والتجربة، أرشيبالدماكليس، ترجمة سلمى الخضراء الجبوسي، مراجعة توفيق صالح، منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1963، ص60.

الحديثة النتاج، وتكون مشاعر الحنو والإسفاق والرأفة في أوجها، وهذا يحيل على طبيعة هذا الصوت؛ فهو صوت حانٍ رقيق، ليس فيه شدة، تتواصل به مع أطفالها. وجمع الشاعر مفردات الأمومة التي تعبّر عن قوة العاطفة واللّهفة، فهذه النّوق ترفع صوتها عندما تحنّ وتعطف على صغارها.

وقد يشبه الشاعر النجوم بالإبل العاطفة على أولادها لا تفارقها. ويصور حرصها على صغارها بمختلف الصور التي استقاها من مظاهر الطبيعة والحيوانات المختلفة، كما في قول الفرزدق يرثي بنيه<sup>43</sup>: [من الوافر]

إِذَا حَنَّتْ نَوَارٌ تَهِيحُ مِنِّي      حَرَارَةٌ مِثْلَ مُلْتَهَبِ السَّعِيرِ  
حَنِينَ الْوَالِهَيْنِ، إِذَا ذَكَرْنَا      فُؤَادَيْنَا، اللَّذَيْنِ مَعَ الْقُبُورِ  
إِذَا بَكَيًا حُورُهُمَا اسْتَحَنَّتْ      جَنَاحِنِ جِلَّةِ الْأَجْوَابِ خُورِ<sup>44</sup>  
بَكِيْنَ لَشَجْوِهِنَّ فَهَجْنَ بَرَكَآ      عَلَى جَزَعٍ لِفَاقِدَةِ ذُكُورِ<sup>45</sup>  
كَأَنَّ اللَّيْلَ يَحْبِسُهُ عَلَيْنَا      ضِرَارٌ أَوْ يَكُرُّ إِلَيَّ نُذُورِ<sup>46</sup>  
كَأَنَّ نُجُومَهُ شَوْلٌ تَنْتَى      لِأُدْهَمَ فِي مَبَارِكِهَا عَقِيرِ<sup>47</sup>

تسيطر على الأبيات مشاعر الحنين والحزن والأسى والألم بسبب الفقد، فالشاعر قد فجع بولديه، وأي فاجعة أكبر من تلك؟!

وتشعل زوجته (النور) قلبه بحنينها وتذكرها فلذات كبدها، فهي تنوح وتبكي ولديها، فتتهيج عواطفه الأبوية وتلهبها، ويغلب شعور اليأس والقنوط والجزع عليه، فقد دفنا تحت التراب، حيث لا عودة، ولا رجوع. ويعبر الشاعر عن شدة حبه وتعلقه بأبنائه من خلال عدة ألفاظ (تهيج مني، فؤادينا)، ولا نغفل صيغة التثنية التي تدل على تشارك هذين الوالدين بالفجعة، وحرقة قلبيهما. ويجعل الشاعر الطبيعة والحيوان وكل ما حوله يندب ويرثي معه أولاده، فالنياق تبكي ولدها المفقود مستحثة حنين القلوب، جارفة معها كل الآمال بعودته، ما يسبب لها الضعف والحزن (خور). ونلاحظ الاندماج الشعوري بين الشاعر والناقة، فحالهما واحد، والمصاب جليل، واستخدم الشاعر لفظة (ذكور) بصيغة المبالغة لتأكيد عدم نسيانها صغيرها مهما مر من الزمن، ففي هذه اللفظة دلالات الإخلاص والحب الصادق النقي، والنياق تشارك هذه الفاعلة مصيبتها وتحن معها.

<sup>43</sup> ديوانه، ص 195\_196.

<sup>44</sup> الجنان: عظام الصدر، وأراد باستحاثاتها استحاث حنين القلوب. جلة الأجواف: عظامها، وأراد بها النياق. الخور: الضعفاء.

<sup>45</sup> البرك: الإبل الباركة.

<sup>46</sup> الضرار: الضرر. وقوله نذور: يريد كأن الليل قد نذر ألا يبرح.

<sup>47</sup> تنتى: تعطف على ولد لها أسود، عقير في مباركها، لا تفارقها.

ثم يشبه الليل بالسجين الذي لا حيلة له بالهرب، وشخص الضرر مستخدماً الاستعارة التصريحية، فكأنه شخص ظالم شرير عنيف يحكم الإغلاق على هذا الليل الطويل الذي يجلب المأساة والمعاناة للشاعر وزوجته الثكلى، وكأن الليل قد نذر ألا يبرح ولا ينتهي، ليزيد من همهما، كل هذا يزيد نقمة الشاعر على هذا الليل ويجعله ألد أعدائه.

ثم يحاول الشاعر الاستئناس بمظاهر الطبيعة، ومحاولة فهمها عله يجد فيها ما يخفف عنه الحزن، فيلجأ إلى صور الأمومة، التي تلبي احتياجاته، وتعطيه جرعة قوة للاستمرار والمتابعة، فنجده يشبه النجوم بالناقة العاطفة على صغارها، وينصهر معها، ويشاركها همومها وحنينها وشوقها، فكان تصويره صادقاً حتى وصل إحساسه إلى المتلقي. وفي لفظة (تثني) معاني الرقة والحنو. والأدهم هو الأسود، ويمثل اللون ملمحاً جمالياً في الشعر، ويعد عنصراً مهماً من عناصر البناء الفني، بما يحمل من دلالات ذات علاقة مباشرة بالرؤية الفنية، ففي معظم الأحيان لا يرد اللون فيما وصف له، بل يكشف عن إحساس الشاعر، فهو مبعث للحبوية والنشاط والراحة والاطمئنان، ورمز للمشاعر المختلفة من حزن وسرور. ويحتاج الشاعر هذه النجوم ليضيء سواده الداخلي، مما يتيح له تعويض ما ينقصه من حنين وشعور بالانتماء.

### الاستنتاجات والتوصيات:

- 1\_ في ضوء استقراء هذه النصوص الشعرية في العصر الأموي، بدأ أن الشاعر الأموي وظف جوانب معينة من ظاهرة حنان الناقة في شعره، نخص بالذكر صوت الناقة حين تحن على صغارها، وحركتها حين تتعطف عليها. وجاء بصور المشابهة بين صوت الرعد الذي يتردد رجعه بين السحب، وصوت الناقة حين تحن على صغارها، وهذا يعبر عن الحس المرهف الذي ربط من خلاله الشاعر بين مظاهر الطبيعة وحنان الأمومة.
- 2\_ كانت الناقة الأم رمزاً مشحوناً بحمولات دلالية ثرة، فهي أداة النجاة وتجاوز الصعاب، ورمز الحنين، ورمز العطف والإشفاق، ورمز الخصب، وهذه الرموز الصغيرة التصقت بالرمز الأساسي؛ رمز الأمومة والخصب في الناقة. وأصبحت تحولات له، وصفات، وألواناً ترسم معالمه الكثيرة، وأبعاده ومساحاته في ذهن الشاعر العربي.
- 3\_ أسهمت صورة الأمومة في عكس معتقدات الشعراء الأمويين، ومبادئهم، وأفكارهم، ونظرتهم إلى القضايا الكبرى في الحياة.
- 4\_ استمد الشعراء الأمويون القوة والعزيمة والإصرار من نوقهم، كما وجدنا في شعر (الصمة القشيري) و(الفرزدق)، اللذين وجدا في الناقة أمّاً تكابد وتعاني وتضحى من أجل صغيرها، فكانت معادلاً فنياً يعبر عن شخصيتهما، ورغبتهما بمواجهة الأخطار، وتجاوزها.
- 5\_ استلهم الشعراء من مشاهد ولادة الناقة صوراً تعجّ بمشاعر العطف والحنان، كما في شعر (عدي بن الرقاع العاملي)، كما وجدنا بعض الشعراء ربطوا بين مظاهر الطبيعة والحيوان، كما في شعر (ذي الرمة) الذي شبه صوت الریح بصوت الناقة الرؤوم التي تحن على صغيرها، وفي هذا حس مرهف عالٍ بأحاسيس تلك الكائنات العجماء.

## References:

- [1] M. Eid, *Motherhood in pre-Islamic poetry*, Tishreen University, Syria, (in Arabia) 2000.
- [2] N. Al-Hajji, *Motherhood in contemporary Syrian poetry: an objective and artistic study*, Dar Al-Qalam,(in Arabia) Damascus, 1st ed., 2006.
- [3] H. Juma, *The animal in pre-Islamic poetry*, Dar Dania,(in Arabia) Damascus, 1st ed., 1989.
- [4] N. Al-Qaysi and H. Al-Dhamin, *Diwan of the poetry of Udayibn al-Ruqa' al-Amili*, Iraqi Scientific Academy,(in Arabia) 1987.
- [5] A. Faour, *Diwan al-Farazdaq*, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut,(in Arabia) Lebanon, 1987.
- [6] I. Abbas, *Diwan of KothaerAzza*, Dar Al-Thaqafa, Beirut, (in Arabia)Lebanon, 1971.
- [7] W. Rumiya, *The gurney in pre-Islamic poetry*,(in Arabia) Damascus, 2nd ed., 1979.
- [8] S. Al-Arafe, *Animal behavior in pre-Islamic poetry — a study of artistic content and texture*, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.
- [9] M. Al-Kafrawi, *Arabic poetry between stagnation and development*, Dar Al-Qalam, Beirut,(in Arabia) Lebanon, 2nd ed., 1992.
- [10] A. Macleish, *Poetry and experience*, S. A-Jayyousi (trans.), Dar Al-Yaqaza,(in Arabia) Beirut, 1963.
- [11] K. Abdul Raouf Al-Jaber (Ed.), *Alsummah bin Abdullah Al-Qushayri: his life and poetry*, Dar Al-Manahij, Amman,(in Arabia) Jordan, 2003.
- [12] J. Al-Shahri, *The image of animal motherhood in pre-Islamic poetry* (Master's thesis), Umm Al-Qura University,(in Arabia) 2014.
- [13] J. Asfour, *The artistic image in Arab critical and rhetorical heritage*, Arab Cultural Center, 3rd ed.,(in Arabia) 1992.